جهود ياقوت الحموي اللغوية في معجم البلدان(*)

الدكتور عبدالوهاب محمدعلي العدواني . ليلى محمد علي جمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لا ينتظر القارىء من هذا البحث أن يُقدّم له ياقوتاً من خلال «معجم البلدان(**)» لغوياً من الطبقة المحققة الممتازة، لأننا لا ندّعي القدرة على منحه مثل هذا الامتياز العلمي على الرغم مما بثّه في هذا الكتاب من مادة لغوية ونحوية، تفسح له مكاناً بين اللغويين، ولكنّه — في أحسن أحواله — مكان محدود بحدود طاقاته العلمية التي استنفدتها المحاولات الموسوعية التي قام بها في حقل التأليف، ولم تترك له — فيما نقدّر — فرصة التبحّر في علم العربية، ومن هنا جاءت نقدات القفطي (ت ٦٤٧هـ) القاسية الموجّهة اليه، فضلاً عما كان يتحشمه في حياته من السفر المستمر، والاتجار بالكتب المخطوطة التي كان ينسخها او يشتريها ويبيعها، وحياة على اوفاز مثل حياته، وثقافة ورّاق كثقافته لم تُتح له سعة التحصيل المنظم ولقاء الشيوخ في الحواضر التي ينزل فيها اليوم، ليرحل عنها غداً، بل ان حياة قليلة الاستقرار كحياته لم تسلبه متعة التخصص العلمي الدقيق فقط، ولكنها — فيما يبدو لنا — قد سلبته حياة الأسرة والزوج والولد ايضاً، فنحن نجهل كل شيء عن هذا الجانب من شخصيته، وقد اهتدينا إلى هذا التصور من إشارة للقفطي إلى أنّه حين مرض ومات في خان بظاهر حلب سنة (٦٢٦هـ) كان قد اوصى بأوراقه ومجموعاته

(*) دراسة مستلة من رسالة ماجستير مقدمة الى قسم اللغة العربية في كلية الاداب بجامعة الموصل سنة ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م

(**) سيكون الاعتماد في كل الاحالات القادمة على نشرة هذا الكتاب في دار صادر بيروت، سنة ١٩٥٥ — ١٩٥٧، وسيجري التصريح بالعلم البلداني في الهامش لدى الحاجة الى ذلك، والا فسيكتفى بذكره أو بالاشارة اليه في المتن فقط.

إلى عزالدين بن الأثير ، لينقلها من بعده إلى بغداد وقفاً على احد مساجدها . وقد احتاط نواب الأيتام على ماله إلى ان حضر ولد سيّده عسكر الحموي من بغداد بكتاب حكمي ، وتسلم ما خلفه (١) .

وفي ضوء هذه الأفكار الموجزة عن حياته الشخصية والعلمية يمكن النظر إلى جهوده اللغوية والنحوية في «معجم البلدان» بوصفها همّاً فرعياً من همـوم كتابه ، وهو في حقيقته عطاء المقل بين العطاءات البلدانية والأخبارية والأدبية العريضة في مادة الكتاب . وليس غريباً — فيما نزعم — ان يميل الدارس إلى مثل هذا التصور ، وهو يرى المادة اللغوية مكنونة في الكتاب المذكور ، لا تكاد تبين بين الحشد الحاشد من المعلومات المشار اليها ، ذلك أنّ مقتضى مادة «معجم البلدان» معروف ، والجهد الذي سيبرز لياقوت في معالجة هذا المقتضى معروف ايضاً ، واذا كان ثمة من جهد لغوي ، فقد انماث في اثناء الكتاب ، ولم يسترع نظرنا إلا بعد القراءة والفحص قبل الالتقاط ، وربما التفت القارىء إلى سؤال عن المادة النحوية في الكتاب ، فيكون الجواب لدينا : انها لم تجاوز خمسة مباحث لخمس قضايا غير اساسية في الدرس النحوي ، لانها مِنْ فروعه لا منْ اصوله ، وهي : إعراب : «أبو(٢)» ، و «بَعلَبَكّ» ، و «صَرِيفُون (٤)» ، وتذكير : «أجأ» وصرفه (٥) ، وتوجيه : «أرمان (٦)» مما اعتمد فيه على النقل الطويل من بعض مصادره ، ولم ينكشف فيه عن فكر نحوي خاص به ، كما انكشف عن شيء من فكر لغوي في المادة اللغوية الواسعة

(١) انباه الرواة على انباه النحاة : ٧٧/٤ - ٧٨ .
(٢) معجم البلدان : ٨١/١ .
(٣) م . ن : ٤٥٣/١ — ٤٥٤ .
(٤) م . ن : ٤٠٣/٣ ، وينظر : ٥٣٥/١ ، ١٩٩/٢ ، ٤٢/٥ ، بينون ، رجيون ، والمارون .
(٥) م . ن : ٩٤/١٠ .
(٦) م . ن : ٦٢/١ .

التي بثها في كتابه، لأسباب منهجية ترجع إلى طبيعة هذا الكتاب وغايته العلمية مما نلخصه في ثلاث نقاط :

١ — حاجة الاعلام البلدانية إلى تفسير لغوي دقيق ، استمد ياقوت مادته من مصادر مختلفة، منها : المعجمات اللغوية ، وكتب الجغرافية العربية ، ودواوين الشعراء وشروحها ، وكتب الأمالي والنوادر .

٢ — اختلاف النسخ المتوافرة لديه من بعض مصادره ، واختلاف ما فيها من روايات في ضبط المفردات وشواهدها، مما كان يحمله احياناً على تكرار النقل الواحد بالصيغ المختلفة (٧).

٣ — ولعه بتفسير المفردات البلدانية ، ومفردات الشواهد ، وربما كان من مظاهر هذا الولع انشغاله بالشرح اللغوي عن تحديد جنس المكان او موقعه، فنحن لم نجد في كلامه على: «عَرَفَةُ الأَمْلَح (٨)» و «عُرْفَة التَّمَد (٩)» و «عُرْفَة المُصَرَّم (١٠)» «عُرْفَةُ نِبَاتِل (١١)» غير التفسير اللغوي ، وقد يكون الكلام على جغرافية المكان لبعض الأعلام ذيلا لتفسير اللغوي ، كما في «رئم (١٢)» و «الرُّجَارُ (١٣)» و «رُمَاعٌ (١٤)» و «الرَّوَاحُ (١٥)»، وفي بعض الأحيان كان يعجزه تفسير المفردة مباشرة او بالدقة المطلوبة ، فيلجأ إلى الاحتمال المعنوي كما فعل مع تفسير «طحال (١٦)» بقوله : «يجوز ان يكون جمع طُحْلَة ، وهو لون بين

(٧) م . ن : ٣٥٠/٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ : ثعفين ، ثمام ، ثمغة ، ٤٤٢/٤ كراع .
(٨) م . ن : ١٠٦/٤ .
(٩) م . ن : ١٠٦/٤ .
(١٠) م . ن : ١٠٧/٤ .
(١١) م . ن : ١٠٧/٤ .
(١٢) م . ن : ١١٤/٢ .
(١٣) م . ن : ٢٧/٣ .
(١٤) م . ن : ٦٦/٣ .
(١٥) م . ن : ٧٤/٣ .
(١٦) م . ن : ٢٢/٤ .

الغبرة والبياض في سواد قليل كسواد الرماد ، مثل : بُرمة وبرام ، وبُرقة براق ، قال ابن الاعرابي : الطّحلُ : الأسود ، الطحل : الماء عنيزة المطحلب ، والطّحل : الغضبان ، والطّحل : الملآن (١٧)» ، وتفسير بقوله «عنيزة يجوز ان يكون تصغير اشياء منها : العَنَزة ، وهو رمح قصير قدر نصف الرمح او اكثر شيئاً ، وفيها زُجّ كزُج الرمح ، والعَنَزَة : وهو دُوَيبّة من السباع تكون بالبادية ، دقيقة الخطم ، تأخذ البعير من قبل دُبره ، وقلّ ما تُرى ، ويزعمون أنّه شيطان فلا يُرى البعير فيه الا مأكولا ، والعنزة من الظباء والشاء ، زيدت الهاء فيه لتأنيث البقعة او الركيّة ، او البئر ، فأما العنز فهو بغير هاء ، او العنز من الأرض ، وهوما فيه حُزُونة من أكمَة او تلّ او حجارة ، والهاء فيه ايضاً لتأنيث البقعة (١٨)» .

وقبل ان نبسط المسائل التي عني بها او اشار اليها في اثناء درسه اللغوي ، وقبل ان نعرض لمباحثه النحوية ، لابد من الاشارة إلى ان المفردات لم تحظ عنده بنصيب متساو من الاهتمام ، ففي الوقت الذي يكتفي فيه بايراد معنى واحد او معنيين للمفردة (١٩) ، نراه يورد لمفردة اخرى معاني متعددة (٢٠) كثيرة ، وحين ترد عنده في بعض المواضع من كتابه مفردات مكررة يمسك عن اعادة تفسيرها ، ويحيل إلى المواضع التي فيها الشرح كما فعل في «مَآبُ» بقوله : «وقد ذكرت في اشتقاق هذا الموضع في عَمّان ما اذا نظرته عجبت به (٢١)» ، وقال في كلامه على «مَعَرّةُ النعمانِ» : «ذكر اشتقاق المعرّة

(١٧) م . ن : ٤/ ١٦٣ .
(١٨) م.ن : ١٦٣/٤ .
(١٩) م.ن : ٨٢/١ ، ٨٩ ، ١٤٧ : ابهر ، أثال ، الأردن ، ٣٨٢/٥ ، ٤٣٢ وكـراء، يحموم .
(٢٠) م . ن : ٢٥١/٢ : الحزم ؛ ١٨٣/٣ : الرياض ، ٧٦/٤ ، ١٠٦ : عباقر ، عرفه الأملح ، ٢٧٥/٥ : نحيزه .
(٢١) م . ن : ٣١/٥ .

في الذي قبله (٢٢)« ، وقال في «النَّجَيَل» : «وقد ذكرت في معنى النُجَيْلُ اثني عشر وجها قبل هذا (٢٣)« ، وهذا ملحظ منهجي بدا لنا بوضوح في عمله الكبير المبسوط ، والمادة اللغوية فيه من ضروب مختلفة ، يطبعها — في الأعم الأغلب — طابع الاشارات المقتضبة ، فقلّما نجد فيها عرضاً مبسوطاً ، كالذي وجدناه في المباحث النحوية الخمسة المتقدمة لأن كثيراً من دواعيها لم يقتض التوسع في المعالجة ، لذا كان ياقوت يكتفي بما يسد حاجته العلمية الخاصة فيه من نقوله اللغوية ، وهي نُقول فيها من علم العربية مايدل على غناء ما كان يتصل به من أصول لغوية ، رفدته بمادة كبيرة لايتأتى للباحث ان يعرضها عرضاً شاملا ، لأن فيها من الأشباه والنظائر ما يكفي بعضه عن أكثره وكل ماقدمه من درس لغوي لايعدو ان يكون درساً من انواع متعددة في المفردات البلدانية ، تتجلى من خلاله رسوم ياقوت وتقاليده في المعالجة اللغوية التي شق علينا تقسيمها — أول الأمر — في محاور عامة ، ثم اهتدينا إلى ان يكون عرضها على وفق المحاور الآتية :

* — ضبط العلم البلداني

مما يذكر لياقوت في هذا المجال حرصه البالغ على الضبط الدقيق للعلم البلداني ، وهو بهذا الحرص قد أعطى الدليل على أن تحرّيَه لايختلف عن تحري اللغويين الذين عرفنا جهودهم الباهرة في معجماتنا اللغوية المعروفة ، لأن من وظيفة المعجم الدلالي أن يقدم المبنى والمعنى محررين مدققين، ليصح الأعتماد عليهما ، والاستئناس بهما ،ومما نراه أن ياقوتاً قد وَعى هذه الحقيقة العلمية قبل شروعه بعمله في « معجم البلدان » ، ورأى ان من شرط عمله فيه ان يحرر مبنى العلم البلداني من الوهم الذي يمكن ان يحدث في نسق اصواته ونسق حركاته فشق لنفسه منهجاً مركباً في تحقيق ضبطه ، ليتسنى له تقديمه الى طالبه مضبوطاً محققاً .

---

(٢٢) م . ن : ٥/١٥٦ .
(٢٣) م . ن : ٥/ ٢٧٤

وحين نقول « الضبط » لايفوتنا ان لهذا المذهب العلمي — لامحالة — مبادىء علمية ، يمكن التقاط الأفكار الأساسية عنها من اثارنا التراثيّة القديمة ومايتصل بها من الاعمال العلمية في هذا العصر ، بيد أننا لانريد الابتعاد عن الدائـــرة اللغوية في تحديد مفهوم الضبط ، الذي يختصره الرازي اللغوي (ت ٦٦٦هـ) بقوله : « ضبط الشيء : حفظه (٢٤) » ، يعني : من كلّ مايمس سلامته ، فاذا انتقلنا إلى « ضبط الكلام » وجدنا السيد الجرجاني (ت ٧٤٠ هـ) يقول : «الضبط : اسماع الكلام كما يحق سماعه ، ثم فهم معناه الذي أريد به ، ثم حفظه ببذل مجهوده (يعني : مجهود الحافظ) ، والثبات عليه بمذاكرته الى حين ادائه إلى غيره (٢٥) » ، ولم يزد التهانوي (ت ١١٥٨ هـ) شيئاً على هذه العبارة ، بل نقلها حرفاً بحرف (٢٦) .

ولايخفى علينا مافي هذا التعريف من تأكيد على الناحية الصوتية فقط ، واهمال الناحية الكتابية التي يدخل فيها الضبط التدويني ، وهو الضبط الـذي يحدده رجلان من اللغويين المتأخرين بقولهما : « ضبط الكتاب ، ونحـــوه يضبطه ضبطاً ، حدّد النّطق الصحيح لألفاظه ، بما يدفع اللبس فيه ، وذلك بشكل حروفه بوسائل الضبط (٢٧) » .

وقد تميزت المعجمات من بين كتب اللغة بعنايتها بضبط المفردات ، لأنها مرجع الناس في البحث عن المعاني المستخدمة في الحياة ، وعلى الرغم من ان كتاب ياقوت لم يكن لغوياً بالدرجة الأولى ، إلا أن مؤلفه قد أولى الضبط فيه عناية خاصة ، وألفيناه ينعى في مقدمته على الرواة ، وأصحاب الكتـــب ، إهمالهم وتحريفهم أسماء البقاع والأماكن ، ولا عجب في هذا ، وقد كان دافعه الرئيس إلى تأليف معجمه الوظيفي خلافا دار بينه وبين احد الحاضرين

(٢٤) مختار الصحاح : ٣٧٦
(٢٥) التعريفات : ٧٨ .
(٢٦) كشاف اصطلاحات الفنون : ١٠/٨٨٦ .
(٢٧) عبدالفتاح السعيدي ، وحسين يوسف موسى ، الإفصاح في فقه اللغة ١/٢١٧ .

في مجلس أبي سعد السمعاني (ت ٩١٧ هـ) في ضبط مفردة من المفردات وقد كان يغشى هذا المجلس بمرو ، وفي يوم من أيام سنة خمس عشرة وستمئة سئل عن اسم « حُباشَة» ، فأبدى رأيه بأن هذا الأسم يُضبط بضم حائه معتمداً على أصل هذه ، المفردة في اللغة ، فعارضة الاخر ، وأصر من غير دليل على أنها بالفتح ، فما كان من ياقوت الا قطع الحجاج بمراجعة مصادره المختلفة ، وبعد لأي وجد ضالته فيها على وفق ظنه (٢٨) ، ثم بلغ من اهتمامه بعد ذلك بالضبط حدا تنوعت فيه وسائله وطرقه تنوعاً قد لانجد له نظيراً في كثير من الأعمال المعجمية الأخرى ، فهو لم يكتف بضبط الحركات بقلمه ، بل ضبطها بالنصيص أيضاً ، كما فعل من سبقة من سبقه من أصحاب المعجمات اللغوية كالأزهري والجوهري والقالي ، ويبدو أن الضبط بالتنصيص راجع — كما ذكر احد الباحثين (٢٩) — إلى خشية أولئك من تصحيف او تحريف قد يحدث أحدهما سهوا من الضابط ، أو من النساخ الذين يمكن ان تختلط عليهم الحروف لتشابه صورها المعروفة واشكالها ، وقد جرت تقاليد ياقوت في هذا الاتجاه على خمسة أنماط :

* **تسمية الحرف :**

وقد جرى هذا العمل في كتابه في ثلاثة مجار :

١ — مجرى الحرف الواحد : نحو قوله : « الأعُزَلان : بالزاي (٣٠) »، و «أعشَارٌ : بالشين المعجمة (٣١) » و « سقَايَةُ رَيْدانَ : بالراء (٣٢) و« قيظ : بالظاء المعجمة (٣٣)» .

---

(٢٨) معجم البلدان : ١٠/١ ، ٢١٠/٣ .
(٢٩) هاشم طه شلاش : الزبيدي في كتابه : تاج العروس ، ٥٦٧ .
(٣٠) معجم البلدان : ٢٢١/١ .
(٣١) م.ن : ٢٢١/١ .
(٣٢) م.ن : ٢٢٦/٣ .
(٣٣) م.ن : ٤٢٣/٤ .

٢ – مجرى الحرفين : نحو « ربَبُ : بباءين موحدتين (٣٤) » ، و«رَوضَة خاخ : خاء معجمة مكرّرة (٣٥)» ، و« الطائف : بعد الألف همزة في صورة الياء » (٣٦) .

٣ – مجرى الثلاثة : نحو « نائِنُ : بعد الالف ياء مهموزة وآخره نون «(٣٧) و« وارانُ : بعد الألف راء ، وآخره نون (٣٨) » .

وقلما نلمح عنده تسمية في أربعة حروف أو كثر من المفردة الواحدة مجردة ، بل تأتي هذه الحروف مسماة مع ذكر حركاتها وسكناتها، وسنعرض لهذه الطريقة فيما نستقبل .

* تسمية الحركة

وقد جرت هذه التسمية على ثلاثة مجار ايضاً :

١ – مجرى الحركة الواحدة : ضمة اوفتحة او كسرة ، ولايعنى بذكر السكون ، لأنه لايريد بتسمية الحركة الواحدة الا حركة الحرف الأول من العلم ، فيضبط على سبيل المثال : « الإصَادُ : بالكسر (٣٩) » «وبنَانُ : بالضم (٤٠)» و « الفلا : بالفتح (٤١)» .

٢ – مجرى الحركتين والثلاث فقط : يستخدم مصطلح « التحريك » وهو اشارة الى حركتي فتح متواليتين اوثلاث حركات متواليات ، فيقول

---

(٣٤) م.ن : ٣٤/٣ .
(٣٥) م.ن : ٨٨/٣ .
(٣٦) م.ن : ٨/٤ .
(٣٧) م.ن : ٩٥٥/٥ .
(٣٨) م.ن : ٣٤٧/٥ .
(٣٩) م.ن : ٢٠٥/١ .
(٤٠) م.ن : ٤٩٧/١ .
(٤١) م.ن : ٢٧٠/٤ .

:« جرش بالتحريك (٤٢) و « حلب : بالتحريك (٤٣) « و » كَنَنُ : بالتحريك (٤٤) « ويقصد فتح الأول والثاني ويقول ايضاً : « أنَفَة : بالتحريك (٤٥)»و« رَ كَبَان : بالتحريك (٤٦) « وسوقُ حَكَمَةَ : بالتحريك (٤٧) ، ويعني توالي الفتحات الثلاث .

وهو لايعنى بتسمية الحركات الأربع اوالخمس المتواليات ، مجردة ، بل يسمي معها الحروف التي تحملها ايضاً .

* **التنصيص :**

وهو ان ينص باسم الحركة على الحرف المسمى ، وأمثله ذلك كثيرة :منها أقواله : « الأعبُدَةُ : بضم الباء الموحدة (٤٨)» و« رَوْضَةُ الرَّباب» :بضم الراء (٤٩) « و» كاذِم : بكسر النون (٥٠) «و» كَشْبٌ: بفتح الكاف وسكون الشين (٥١) « و » كِناوة : بالكسر وفتح الواو (٥٢) « و» ذَفِرَانُ : بفتح أوله وكسر ثانيه، ثم راء مهملة وآخره نون (٥٣) « وكِنْكِوَر : بكسر الكافين وسكون النون وفتح الواو (٥٤) » .

---

(٤٢) م.ن : ١٢٧/٢ .
(٤٣) م.ن : ٢٨٢/٢ .
(٤٤) م.ن : ٤٨٥/٤ .
(٤٥) م.ن : ٢٧١/١ .
(٤٦) م.ن : ٦٣/٣ .
(٤٧) م.ن : ٢٨٣/٣ .
(٤٨) م.ن : ٢٢٠/١ .
(٤٩) م.ن : ٩٠/٣ .
(٥٠) م.ن : ٤٣٢/٤ .
(٥١) م.ن : ٤٦٢/٤ .
(٥٢) م.ن : ٤٨١/٤ .
(٥٣) م.ن : ٦/٣ .
(٥٤) م.ن : ٤٨٤/٤ .

* **الاشارة الصرفية :**

ويمكن ان ندرج تحت هذه الاشارة من طرقه في الضبط ثلاثة مجار ايضاً : وهي :

١ — **الوزن :** فهو قد يحقق ضبط المفردة لقارئه بذكر المشهور في وزنها ، فيقول مثلا « **ألالَةُ** : بوزن علاله (٥٥) « و« **ثُعلُ** : بوزن جُرذ (٥٦) و « **كَلْفى** : بوزن حُبلى (٥٧) » .

٢ — **الصيغة :** وينبه بها الى ان المفردة تضبط بوصفها تصغيراً ، لمفردة معروفة أو تثنية ، أو جمعا لها ، او منسوبة إليها ، ويقول مثلا : « **أسيلة** : بلفظ التصغير (٥٨) « و « **الجُوَيّ** : تصغير الجوّ (٥٩) « و »**اللّبْنَتان** : تثنيه لبنة (٦٠)« و« **خِيَام** : بلفظ جمع خيمة (٦١) «و» **اللّجُمُ** : جمع لجام (٦٢) « و » **اليَهُوديّه** : نسبة الى اليهود (٦٣)

وقد لايقطع بذكر الصيغة ، ليشعر قارئه انه غير متثبت منها ، فيأتي بها على وجه التشبيه ، او الجواز ، او الاحتمال ، ويقول « **آلات** : كأنه جمع آلة (٦٤) « و» **الجِرباء** : كأنه تأنيث الأجرب (٦٥)« و» **الغَمَرِيّةُ** : كأنها

---

(٥٥) م.ن : ٢٤٣/١ .
(٥٦) م.ن : ٧٩/٢ .
(٥٧) م.ن : ٤٧٦/٤ .
(٥٨) م.ن : ١٩٣/١٠ .
(٥٩) م.ن : ١٩٣/٢ .
(٦٠) م.ن : ١١/٥ .
(٦١) م.ن : ٤٠٩/٢ .
(٦٢) م.ن : ١٣/٥ .
(٦٣) م.ن : ٤٥٢/٥ .
(٦٤) م.ن : ٢٤٢/١ .
(٦٥) م.ن : ١١٨/٢ .

منسوبة الى رجل اسمه غمر « (٦٦) و» حارِبٌ : يجوز ان يكون فاعلا من الحرب او ان يكون سمي به الأمر من الحرب ، ثم اعرب (٦٧)» .

٣ ــ النظير : ويوطىء له بما يؤكد التماثل بينَهُ وبين نظيره بكاف التشبيه ، ومثل ، ومثال ، ويقول : « الظِّهار : ككتاب (٦٨) « و» ظَلاّمةُ : مثل علاّمة ونسابة (٦٩) « و» عَظَامِ : مثل قطام (٧٠)« و » تُرَف : مثال زُفر (٧١) » .

* **العلاقة الاتباعية** : وهي لاتختلف عن طريقة الضبط بالنظير ، ولكن العلاقة بين المتناظرين فيها ليست مظهراً ضرفياً ، بل اتباعا تأليفيا ، وذلك بأن يحقق ضبط المفردة الثانية وفق ماجرى عليه من ضبط المفردة التي سبقتها في ترتيب الكتاب فـ « الجُرّجانيّةُ » ــ كما قال ــ « مثل الذي قبله منسوب (٧٢) يعني « جُرْجانُ « المتقدمة ، و« الجَوةُ : بزيادة الهاء (٧٣) : بعد « الجَو » و« الحالَةُ « : واحدة الحال المذكور قبله (٧٤) » .

* **تداخل الطرق :**

وياقوت قد لايكتفي مبالغة منه في تحري التدقيق والضبط ، بتسمية الحرف ، أو الحركة ، او بتسمية الحرف والحركة معا ، اوبأعتماد الوزن والصيغة والنظير ، فيقول : « الجِفَارُ : بالكسر وهو جمع جَفر نحو فَرخ

---

(٦٦) م. ن : ٤/٢١٣ .
(٦٧) م.ن : ٢/٢٠٤ .
(٦٨) م.ن : ٤/٦٣ .
(٦٩) م.ن : ٤/٦٢ .
(٧٠) م.ن : ٤/١٣٠ .
(٧١) م.ن : ٢/٢٣ .
(٧٢) م.ن : ٢/١٢٢ .
(٧٣) م.ن : ٢/١٩١ .
(٧٤) م.ن : ٢/٢٠٧ .

وفِراخ (٧٥) » و« القَيّارةُ : بالفتح ثم التشديد ، وهو تأنيث الذي قبله (٧٦) والذي قبله هو « القَيّارُ (٧٧) » .

ومع كل ما تقدم من عناية ياقوت بالضبط في متن كتابه ، فان هذه العناية لم تغط كل الاعلام البلدانية التي جمعها ورتبها ، فقد بقي عدد غير قليل من المفردات ناقص الضبط ، نذكر منه من مادة الجزء الثاني من الكتاب ما يأتي على سبيل المثال لا الحصر : تَعشُر ، جدرين ، حُراضَان ، حَزْمُ عيصان حلوان ، حُواطب ، خاوس ، الخطط ، خلاطا ، دارجين (٧٨) .

*** — تحقيق العلم البلداني**

أشرنا — فيما سبق — الى عناية ياقوت بضبط العلم البلداني ، وحاولنا تحديد الطرق التي اتبعها في ذلك مدفوعاً بدوافع كثيرة ، يمكن اجمالها بما يأتي :

١ — اختلاف ضبط المفردة : وما يؤدي إليه — لامحالة — من الاختلاف في تفسيرها اللغوي ، وقد أعطى ياقوت أمثلة كثيرة على أثر اختلاف الحركة في تحديد المعنى ، في « البِطاحُ » — بكسر أوله — ، جمع : بطحاء ، والبطحاء في اللغة : مسيل فيه دقائق الحصى ، والجمع الأباطح والبطاح على غير قياس(٧٩) ، و« البُطاح» — بالضم — مرض يأخذ من الحُمَّى ، والبُطاحيّ : مأخوذ منه (٨٠) .

---

(٧٥) م.ن : ١٤٤/٢ .
(٧٦) م.ن : ٤١٩/٤ .
(٧٧) م.ن : ٤١٩/٤ .
(٧٨) م.ن : ٣٤/٢ ، ١١٤ ، ٢٣٤ ، ٢٥٣ ، ٢٩٤ ، ٣١٦ ، ٣٤٢ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٤١٩ .
(٧٩) م.ن : ٤٤٦/١ .
(٨٠) م.ن : ٤٤٥/١ .

و«الحُبّس» — بالضم — : جمع الحبيس ، ويقع على كل شيء ، وقفه صاحبه وقفاً محرّما(٨١) .

و«الحبس» — بالكسر — الماء المستنقع ، وقيل : حجارة تبنى على مجرى الماء ، لتحبسه للسارية (٨٢) .

و«السِّرُّ» — بكسر السين — : الكتمان ، وبالضم : الذي تقطعة القابلة من السُّرّة (٨٣) .

ولايصعب على المتتبع الوقوف على هذا التحقيق الدلالي الذي قام به ياقوت في المعجمات العربية ، التي سبقت عصره بسهولة .

٢ — اشتراك كثير من الاعلام البلدانية في الأصوات دون الحركات ، فـ«ريمَةُ(٨٤)» بكسر الراء — غير « رَيمَة (٨٥) « بفتحها و كل من «صور (٨٦) » و« صُوَرُ (٨٧)» و « الصّوَر» (٨٨) و«الصوْرُ (٨٩)» علم لموضع مستقل عن غيره ، وقد وعى ياقوت أن من واجبه ان يحقق الضبط ليدفع شبهة الخلط .

٣ — احتمال وقوع التصحيف والتحريف في رسم الأعلام البلدانية ، فقد يؤدي تغير أحد الأحرف في المفردة إلى الأشتباه بعلم بلداني آخر يختلف

---

(٨١) م.ن : ٢١٣/٢ .
(٨٢) م.ن : ٢١٣/٢ .
(٨٣) م.ن : ٢١١/٣ .
(٨٤) م.ن : ١١٤/٣ .
(٨٥) م.ن : ١١٤/٣ .
(٨٦) م.ن : ٤٣٣/٣ .
(٨٧) م.ن : ٤٣٤/٣ .
(٨٨) م.ن : ٤٣٤/٣ .
(٨٩) م.ن : ٤٣٤/٣ .
(٩٠) م.ن : ٤٣٤/٣ .

عن المقصود ، ففي « عَرَبَاتٌ (٩١)» يحتمل ان تصبح التاء نونا ، فتصير « عَرَبَانُ (٩٢) » ، وقد يقترب رسم اللام في « نُخال (٩٣)» من النون ، فتصير « نُخَان (٩٤)» ، وقد يتوهم في « يَثْرَبٌ (٩٥)» أنّها « يَتْرِبٌ(٩٦) » .

ومن وجوه عناية ياقوت التحقيقية بالمفردة البلدانية ايراده الأوجه المختلفة لروايتها ، فهو ينقل لنا — على سبيل المثال — رواية السكرى في «الأبواص » انها : « الأنُواصُ (٩٧) ويقول في «أثافَتُ» : » قال الهمداني [ابن الحائك] وتسمى : اثافـــه بالهاء ، والتاء أكثر ، وأهل اليمن يسمونها ، ثافـــت بغير همـــز (٩٨) » ، ويقول في » تخَاوَةُ : كذا ضبطه الأمير [أبـــو ماكولا] بالفتح ، وضبطه ابو سعد (النعماني) بالضم (٩٩) » . ولكنه لايأخذ مايرد : المفردة من روايات مسلما بها ، بل يؤكد في ذلك نزعته التحقيقية ، فيعمد احياناً الى تخطئة سابقية ، ويحتمل وقوعهم في التصحيف والتحريف لدى ذكر الروايات ، فقد قال في « تَيْرَبُ » : قال الزمخشري وتلميـــذه العمراني : تَيْرب .... ذكره في باب التاء ، وأخاف ان يكون يترب ، أوله ياء فصحفاه (١٠٠) « ، وقال في « نيددُ » انها : «وردت بخط ابن الاعرابي

---

(٩١) م.ن : ٩٦/٤ .
(٩٢) م.ن : ٩٦/٤ .
(٩٣) م.ن : ٣٧٥/٥ .
(٩٤) م.ن : ٢٧٥/٥ .
(٩٥) م.ن : ٤٢٩/٥ .
(٩٦) م.ن : ٤٣٠/٥ .
(٩٧) م.ن : ٢٧٣/١ .
(٩٨) م.ن : ٨٩/١ .
(٩٩) م.ن : ١٦/٢ .
(١٠٠) م.ن : ٦٥/٢ .

فيدر وتيدر ، وهما تصحيف (١٠١)» ، وقال في «جَيْدَة»: «وقد قال بعضهم ، حيدة ، وهو تصحيف (١٠٢) .

ولم يفته وهو يقدم وجوها من التحقيق في الأعلام البلدانية — الاشارة الى ان بعض ابنيتها ليس من كلام العرب ، معتمداً في ذلك على ماقدمه اللغويون السابقون من متابعات في هذا المجال، كثعلب ، وابن خالويه ، ومن ذلك قوله في « طرَسُوسُ » : « ولايجوز سكون الراء إلا في ضرورة الشعر ، لان فعلول ليس من ابنيتهم(١٠٣)»، ونقل في « صعفُوق» عن ثعلب قوله : « كل اسم على فعلول فهو مضموم الأول الا حرفا واحداً ، وهو صعفوق بفتح أوله وسكون ثانية ، والفاء المضمومة والواو والقاف (١٠٤)« ، وقد أكد هذه المعلومة كثير من الدارسين قبل ياقوت كالمبرد (١٠٥) ، وبعده كعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٦) .

ومن الطريف ان يقول ياقوت : « نطح على وزن بقّم ، ولم يجيء على هذا الوزن إلا عشر موضع ، وخوّد موضع وقيل فرس ، وبذر موضع وشلّم بيت المقدس ، وشمّر فرس ، وخضّم : اسم العنبر بن عمرو بن زيد مناة بن تميم ، وسدّر لعبة للصبيان ، ونطّح اسم موضع لم يجيء غيره على هذا الوزن (١٠٧) » ، ثم نجد ابن خالويه الذي اشتهر له مؤلف خاص في باب « ليس في كلام العرب « قد أخل بلفظتي سدّر ونطّح ، وبذلك يكون ياقوت قد استدرك عليه في هذا الباب العصي الصعب من العربية بذكر لفظتين جديدتين

---

(١٠١) م.ن : ٦٥/٢ .
(١٠٢) م.ن : ١٩٧/٢ .
(١٠٣) م.ن : ٢٨/٤ ، وينظر : ثعلب : كتاب الفصيح /٢٩١ ،ابن خالويه : ليس في كلام العرب /٢٥٣ .
(١٠٤) م.ن : ٤٠٧/٣ .
(١٠٥) المقتضب : ١٢٥/١ .
(١٠٦) خزانة الأدب : ١٤٠/١ . .
(١٠٧) معجم البلدان : ٢٩١/٥ .

بيد ان يقول في « بَذَرٌ » انها وزن عزيز لم تستعمل العرب منه في الأسماء الا عشرة (١٠٨)» ثم يذكر ثمانية منها نطّح ، وينسى اثنين ، فينتبه الى ذلك محقق كتاب ابن خاويه فيأخذ عليه هذا المأخذ اللغوي(١٠٩) مع ان منهجه ليس منهج الاستقضاء اللغوي ، كما أخذ هو من طرفه على النحويين في هذا الموضوع مستدركاً عليهم لفظة « رئم » التي سبقت في معجمه لفظتي : «سدّر ونطّح» وقد قال عنها في موضعها : « انها بوزن : دُئل ، وان النحويين يقولون : « لم يجيء على فُعِل اسم غير دُئل ، وهذا ان صحّ [يعني : رئم] فهو آخر مستدرك عليهم (١١٠)» .

ومن مذاهبه في تحقيق المفردة البلدانية التقاط النظائر التي تحقق له هذه الغاية ، وقد أشرنا فيما سبق الى « الخصاصةُ — الموضع » محمولة في ضبطها على « خصاصة في قوله — تعالى — : *(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة //سورة الحشر — الأية ٩ (١١١) * .

ويفهم من هذا أنه يضبط المجهول بالمشهور ، ومن أمثلة هذا المذهب لديه ايضاً ضبطه . « شِجْنَةُ — الموضع» كشجنة الواردة في قوله — صلى الله عليه وسلم — : « الرحم شجنة من الله ، أي : قرابة مشتبكة كاشتباك العروق(١١٢) » وضبط هذه عند اللغويين بكسر أولها وسكون ثانيها (١١٣) .

وهو لايقتصر على المقايسة اللفظية بين المتناظرين في الضبط فقط . فقد وجدناه يقيس اللفظ على اللفظ في طبيعة الاستعمال ، فحين عرض لمادة «الحاسِرَةُ — وهي مسجد بالبصرة ، سمي بذلك لأنّ الحُتات المجاشعي مرّ

(١٠٨) م.ن : ٣٦١/١ .
(١٠٩) ليس في كلام العرب — تعليقات المحقق /٢٩١ — ٢٩٢ .
(١١٠) معجم البلدان : ١١٤/٣ .
(١١١) م.ن : ٣٧٥/٢ .
(١١٢) م.ن : ٣٢٦/٣ .
(١١٣) اللسان — شجن .

ثَمَّ ، فرأى حميراً وأربابها ، فقال ما هذه الحامرة (١١٤)» ؟ ففهم ياقوت من هذا النص ان الحتات اشتق وصفاً من مجمل الصورة التي رآها ، فحاول ان يمثل — من طرفه — لهذه الحالة اللغوية فقال : «وهذا مثل قولهم : الجَنَّةُ تحت البارقة ، يريدون به : السيوف ، والمراد به الحث على الغزو (١١٥)» .

ولكنه عاد إلى المقايسة اللفظية ثانية ، فقال : «ومن يخطىء يقل: الأبارقة»، ونقل من ابي احمد [العسكري ، صاحب كتاب لحن الخاصة] قوله : والعامة تقول : الأحامرة ، وهو خطأ (١١٦) .

ومع حرص ياقوت البالغ على تحقيق المفردة البلدانية، فقد تبدو منه ملاحظة عجلى تؤخذ عليه في هذا الجانب ، فحين عرض لمادة «الثأى» استشهد بقول جرير :

عطفت تُيوس بني طُهَيَّةَ بعدما رويَتْ وما نَهلَتْ لقاحُ الأعلم

صدرت مُحَلَّأةَ الجواز فأصبحت بالثائبين حنينُها كالمأتم

قال : «لا اعرف الثأي مهموزاً في اللغة ، وانما الثاوية ، مأوى الابل والغنم، والثاية حجارة ترفع فتكون علماً بالليل ، والله اعلم بحقائق الأمور (١١٧)» . وانتهاؤه بهذا الاعتذار : — فيما نقدر — له دلالة على شكّه في دقة ما قاله، ومن الغريب ان ياقوتاً — المطلع على آثار ابن جني ، ونوادر ابي زيد ، وصحاح الجوهري — يمكن ان يطلق حكماً قاطعاً ينفي «الثأى» مهموزاً من كلام العرب ، فقد وجدنا ابن منظور — وهو من تابعيه المتأخرين عنه — يقول : «نقلا عن مصادره إن الثأى والثأى : الإفساد ، وقيل : الجراحات والقتل ونحوه من الإفساد ، وخرم خرز الأديم (١١٨)« ، ثم ينقل قول ابن جني :

(١١٤) معجم البلدان : ٢٠٨/٢ .
(١١٥) م.ن : ٢٠٨/٢ .
(١١٦) م.ن : ٢٠٨/٢ .
(١١٧) م.ن : ٧٢/٢ .
(١١٨) اللسان — ثأى .

«وهو [يعني : حرم خرز الأديم] ان تغلظ الاشفى ويدق السير ، وقد ثئي بثاى ، وثأى بثأى ، وأثايته انا» وقول ابي زيد : «أثأيت الخرز اثاءاً : خرمته . وقد ثئي الخرز يثأى تأياً شديداً» وقول الليث : «اذا وقع بين القوم جراحات ، قيل : عظم الثأي بينهم (١١٩)» ، ومع هذه النصوص — ولا عبرة بالمعنى والدلالة المختلفة — لا يتأتى لأحد ان يقبل من ياقوت النفي القاطع لوجود «الثأي» مهموزاً في كلام العرب .

* — **تأصيل العلم البلداني**

وقد اتخذت هذه العناية لدى ياقوت مجاري مختلفة ، منها الرجوع بالمفردة البلدانية إلى اصولها الاشتقاقية ان كانت عربية من ذلك قوله ان عاذباً من قولهم : «عذَب الرجل ، فهو عاذب ، إذا ترك الأكل ، فهو لا مفطر ولا صائم ، ويجوز ان يكون فاعلا من عذُب الماء فهو عَذْب (١٢٠)» و «اللُّفاظ» : «اصله على الروايتين [يعني : تشديد اللام ، وضمّها او كسرها] من : لقطت الشيء اذا القيته من فيك كلاماً كان او غيره (١٢١)» و «لوذُ الحَصى» «كأنه من: لاذ به يلوذ ، اذا لجأ اليه (١٢٢)» ويجد القاريء ملاحظات شبيهه لماقدمنا في «عابِدٌ (١٢٣)و«عَاذٌ (١٢٤)»و«عَارِضٌ (١٢٥)»و«القَطِيف(١٢٦) مواضع كثيرة اخرى .

ومن مجاري التأصيل تعليل التسمية بالعلم البلداني ، فياقوت كثيراً ما يربط بين العلم وبين الأحداث ، والمناسبات التي اقتضت التسمية به ، فقد حكى

(١١٩) اللسان — ثأي .
(١٢٠) معجم البلدان : ٦٥/٤ .
(١٢١) م.ن : ١٩/٥ .
(١٢٢) م.ن : ٢٥/٥ .
(١٢٣) م.ن : ٦٤/٤ .
(١٢٤) م.ن : ٦٥/٤ .
(١٢٥) م.ن : ٦٥/٤ .
(١٢٦) م.ن : ٣٧٨/٤ .

في «أبْرَقُ الحَنّان» أنه سمي بهذا : «لأنه يسمع فيه الحنين» ، ويقال : «ان الجن تحن إلى من قفل عنها (١٢٧) » ، وقال في : «الأحَصُّ» : «قال ابو زيد [يعني : الأنصاري] : رجل أحص اذا كان نكداً مشؤوماً وكأن هذا المكان لقلة خيره ، وعدم نباته سمّي بذلك (١٢٨)» واشار إلى أن «الظّاهر» سمي بهذا الاسم . «لأن عمرو بن العاص ، لما رجع من الإسكندرية ، واختط الفسطاط تأخر عنه جماعة من القبائل بالإسكندرية ، ثم لحقوا بالفسطاط ، وقد اختلط الناس ولم يبق لهم موضع ، فشكوا ذلك إلى عمرو ابن العاص ، وكان قد ولى الخطط معاوية بن حديج ، فأمره بالنظر لهم ، فقال للقادمين : ارى لكم ان تظهروا على القبائل ، وتتخذوا منزلا ظاهراً ففعلوا ، ونزلوا هذا الموضع وسمي الظاهر (١٢٩)» .

ولياقوت عروض من هذا القبيل في مواضع من كتابه منها ما قاله في «إصْمت (١٣٠)» و«خُوارِزْم (١٣١)» و«قُعَيقَعانُ (١٣٢)» و «مكة (١٣٣)» بيد انه قد يعترض عن تبيان سبب التسمية لبعض الأعلام التي يجهل اية معلومة عنها فيقول : «لا ادري لمَ سمّي بذلك كما قال : في «مُظلمُ (١٣٤)» و «مَقَابرُ الشهداء (١٣٥)» . .

ويفهم من هذا ان تأصيل التسمية عنده لا يقوم على معلومات وثيقة ، يكون هو اول الواثقين بصحتها قبل ان يقدمها إلى القارىء محفوفة بالشكوك .

---

(١٢٧) م.ن : ٦٧/١ .
(١٢٨) م.ن : ١١٢/١ .
(١٢٩) م.ن : ٥٧/٤ .
(١٣٠) م.ن : ٢١٢/١ .
(١٣١) م.ن : ٣٩٥/٢ .
(١٣٢) م.ن : ٣٧٩/٤ .
(١٣٣) م.ن : ١٨١/٥ .
(١٣٤) م.ن : ١٥٢/٥ .
(١٣٥) م.ن : ١٦٣/٥ .

وهو قد ينزع في التأصيل نزعة لغوية فيقدم مباحث لغوية على جانب كبير من الأهمية ، وتأتي اهميتها من دخولها في دائرة فقه اللغة العربية ، وبمقدور الباحث ان يجعل منها مجتمعة فكراً لغوياً ، امتاز ياقوت بتقديمه على غيره من البلدانيين ، الا انه قد نحا بالعمل البلداني منحى كثير التشعب .

ومن تشعبه غلبة النزعة اللغوية الأدبية المتداخلة فيه على النزعة الخططية الجغرافية ، ولا يغير ياقوتاً ان الفكر اللغوي الذي يتحصل لنا من كتابه مقتبس عن غيره في أعمه وأغلبه اذا نظرنا إلى نقوله من زاوية قيمتها التاريخية ، لما حفظته لنا من نصوص علمية منقوة الأصول في مكتبتنا اللغوية المعاصرة ولو تهيأ لجامع حديث ان يلتقطها ويؤلف بينها في محاولة علمية اجمالية ، لكان له من ذلك كتاب مهم ، فيه كثير من الفقه التاريخي للغة العربية باقوال اصحابه ونصوصهم ، ومشاركة ياقوت في التنظيم والعرض والعمارة ، وحسب ياقوت ان يكون له مثل هذا الجهد التأصيلي في الدرس اللغوي ، مدفوعاً فيه برغبة الباحث المتتبع ، ويجمل بنا — ونحن نجتهد في تصوير العناية التأصيلية من عناياته للغوية الثلاثة التحقيقية ، والتأصيلية ، والتفسيرية — ان نعرض مباحثه في الفقه اللغوي للاعلام البلدانية على النحو الآتي :

* **المهمل من الأعلام البلدانية**

فقد التقطنا من كلامه اشارات إلى بعض هذه الأعلام غير مستعمل في كلام العرب ، بلفظه او بأصله الاشتقاقي ، فقد وصف «الزّواخي» — بوزن القوافي — بأنه «مهمل في استعمالهم (١٣٦)» وقال في «طحّاب» «وهو مرتجل ، علم مهمل في لغة العرب (١٣٧)» وفي «مهْسَاعٌ» «وهو مهمل عند اللغويين (١٣٨)» ، ويؤخذ عليه — لدى الجمع بين هذه الاشارات — ان

(١٣٦) م.ن : ٣/١٥٥ .
(١٣٧) م.ن : ٤/٢٢ .
(١٣٨) م.ن : ٥/٢٣٥ .

الخلل قد وقع لديه في تحديد جهة الاعمال ، لأن الضمير في الاشارة الأولى منصرف إلى العرب ، بقرينة الاشارة الثانية ، وهذا امر معروف لا سبيل إلى الاعتراض عليه ، لأن العرب هم اهل اللغة واصحاب التصرف في استعمال الفاظها او اهمالها ، وقد اخل ياقوت في الاشارة الثالثة بدقة هذه المعلومة ، فأوهم قارئه بأن اللغويين ، قد اهملوا العلم البلداني المشار اليه ، وليس هذا صحيحاً ، لأن اللغوي ليس من شأنه ان يستعمل بعض المفردات ويهمل بعضها ، لأن من وظيفته تصنيفها إلى مستعمل ومهمل ، كما فعل «الخليل بن احمد» في أساس رئيس من اسس تصنيفه للمادة اللغوية في «العين» .

وكما ذكر ياقوت «المهمل» في وصف بعض الأعلام البلدانية ، فقد استعمل «المُمات» في موضع واحد من كتابه وهو موضع الكلام على «المَذَارُ» فقد حرص على تأصيل هذا العلم فردّه إلى جذر (و . ذ . ر) واشار إلى ان العلم المذكور من قولهم : ذره ، وهو يذره ، ولا يقال وذرته ، لأن العرب اماتت ماضيه (١٣٩)» ، ويفهم من هذا انه من قبيل المهمل في استعمالهم وهذه المعلومة مذكورة في كتب اللغة (١٤٠) ، وكتب الفاظ القرآن لدى الحديث على تفسير قوله — تعالى — : (*)(لا تبقي ولا تذر //سورة المدثر — الآية ٣٨ (*) وقوله : (*) ما ودعك ربك وما قلى //سورة الضحى — الآية ٣ (١٤١) ، وقد يعني بذكرها بعض مؤلفي كتب فقه اللغة في هذه الأيام ايضاً (١٤٢) .

وقد بدا ياقوت في موضع من مواضع الاشارة إلى المهمل من الأعلام البلدانية غير دقيق ، فقد قال في اثناء كلامه على «غَزْنَةُ« أن »غزن في وجوهه الستة مهمل في كلام العرب (١٤٣)» ، يعني في تقليباته الستة المحصلة من

---

(١٣٩) م.ن : ٨٨/٥ .
(١٤٠) ينظر : اللسان — وذر .
(١٤١) ينظر : الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن — ودع ، وذر .
(١٤٢) فصول في فقه العربية : ٣١٧ .
(١٤٣) معجم البلدان : ٢٠١/٤ .

تقديم اصواته وتأخيرها والمداخلة بينها ، وهي : غزن ، غنز ، نزغ ، نغز ، زغن ، زنغ .

وينبني على هذا الذكر التنبيه على ان انتفاعه من بعض مصادره في النقل اللغوي لم يكن كافياً ، لأن «العين — للخليل» — وهو احد مصادره — قد ذكر هذه التقليبات ، وذكر ان «نزغ» من المستعمل (١٤٤) ، والنزغ بين القوم : هو ان تحمل بعضهم على بعض بالافساد بينهم ، ومنه قوله — تعالى — (*) (اما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله //سورة الاعراف — الآية ٢٠٠ ، وسورة فصلت — الآية ٣٦) .

وكان يكفي ياقوتاً ان يتذكر هذه الآية ، فيتوقى بها من اطلاق كلامه على علّته ، وقد ورد بالمعنى المشار اليه ايضاً : «النغز (١٤٥)» وما زال مستعملا في كلام يومنا هذا وبيئتنا هذه بمعنى : الوخز .

* **التحليل اللهجي**

وهو نمط من التأصيل اللغوي للأصول الاشتقاقية لبعض الأعلام البلدانية ، فكثيراً ما اشار ياقوت في كلامه إلى اللهجات العربية ، او إلى «اللغات» كما يسميها ، بيد انه غالباً ما اغفل عزو اللهجة او اللغة إلى اصحابها في اثناء ذكره لها ، ولكنه عالج مجموعة من الظواهر اللغوية ذات المساس بالأصول اللهجية ، وهي :

الابدال بين الأصوات اللغوية :

وقد اشار إلى حالات منه ، وقعت في الأصول الاشتقاقية لبعض الأعلام البلدانية ، او في الأعلام نفسها او فيما يعرض من المفردات في اثناء الكلام عليها .

---

(١٤٤) العين : ٣٨٤/٤ .

(١٤٥) اللسان — نغز .

ومن النوع الأول : ابدال الثاء والفاء ، فقد قال في «غثّت» : انبتت الخيل واغتفت ، اذا اصابت شيئاً من الربيع ، وهي الغُثّة والغُمّة (١٤٦) ».

ومن الثاني : ابدال السين والصاد ، فقد قال في «القُمُص (١٤٧)» انه لغة في «القفص (١٤٨)» .

ومن الثالث : ابدال النون واللام ، فقد قال في «جبْرينُ» انه لغة في «جبريل (١٤٩)» .

ومن الجدير بالذكر ان الجتدي في دراسته الشاملة عن «اللهجات العربية في التراث» قد افرد كلاماً على صيغ لهجية ، عدّها اللغويون ابدالا ، الا انه لم يشر إلى الألفاظ التي يرد فيها ابدال الهمزة والياء (١٥٠) ، ثم وجدنا ياقوتاً يذكر اعلاماً بلدانية حدثت بينهما مثل هذه الظاهرة ، فقد ذكر ان الياء في «يَلَمْلَم» مبدلة من الهمزة في «المُلَمُ» وليست مزيدة (١٥١)» وأن الهمزة في «أَمْنٌ» تقلب ياء فيقال : «يَمْنٌ (١٥٢)» .

وقد بدا لنا ان هذا ليس ابدالا بل تخالف لهجي ، لأن الابدال الصوتي مقتض ان يكون له اساس من تقارب بين الصوتين في المخرج او الصفة (١٥٣)» وياقوت نفسه قد اورد ما يماثل المفردتين المذكورتين ، مشيراً إلى ان ما حدث فيها رواية كما في «أَبنْبَم (١٥٤) » او قول كما في «أَبْيَن (١٥٥)» و «أَلْيَل

---

(١٤٦) معجم البلدان : ١٨٧/٤ .
(١٤٧) م.ن : ٣٨٠/٤ .
(١٤٨) م.ن : ٣٨٠/٤ .
(١٤٩) م.ن : ١٠١/٢ .
(١٥٠) اللهجات العربية في التراث – القسم الثاني : ٤٧١ – ٤٧٧ .
(١٥١) معجم البلدان : ٢٤٦/١ .
(١٥٢) م.ن : ٢٥٥/١ .
(١٥٣) ينظر : سر الصناعة : ١٩٧/١ ، الخصائص : ١٤٦/٢ – ١٤٩ ، المخصص : ٢٧٢/١٠ ، وعبدالصبور شاهين : المنهج الصوتي للبنية العربية /١٦٧ .
(١٥٤) معجم البلدان : ٧٨/١ .
(١٥٥) م.ن : ٨٦/١ .

«أَلْيَلُ (١٥٦)» او لغة كما في «أَبْرِينُ (١٥٧)» و «أثرب (١٥٨)» و «أَذْبُلُ (١٥٩)» .

تحقيق الهمز وتخفيفه

والتحقيق والتخفيف مظهران لهجيان معروفان لدى الدارسين ، وقد التقطنا من امثلتهما في الاعلام البلدانية التي ذكرها ياقوت مفردات منها :

- رَألانُ : رالان (١٦٠) .
- رَأْمٌ : رام (١٦١) .
- زِئْنَةُ : زينة (١٦٢) .
- الشّأمُ : شام (١٦٣) .
- مُؤْتَةُ : موتة (١٦٤) .

التذكير والتأنيث

ولم نلتقط من المعجم الا مثالاً واحداً ورد ذكره في «الزُّقَاقُ» الذي قال فيه ياقوت : «اهل الحجاز يؤنثونه ، وبنو تميم يذكرونه (١٦٥) ؛ وهو سالم يُذكر في كتب التذكير والتأنيث .

---

(١٥٦) م.ن : ٢٤٨/١ .
(١٥٧) م.ن : ٧١/١ .
(١٥٨) م.ن : ٩١/١ .
(١٥٩) م.ن : ١٢٨/١ .
(١٦٠) م.ن : ١٦/٣ .
(١٦١) م.ن : ١٦/٣ .
(١٦٢) م.ن : ١٦٥/٣ .
(١٦٣) م.ن : ٣١١/٣ .
(١٦٤) م.ن : ٢١٩/٥ .
(١٦٥) م.ن : ١٤٤/٣ ، وينظر : المزهر : ٢٢٥/٢ .

الفعل الأجوف

وذكر مسألتين في هذا الصدد :

— اشارته في «طوخ» إلى مضارع «طاخ» : يطوخ ويطيخ (١٦٦) ، وقد بدا لنا ان هذه الثنائية مظهر لهجي يشبه ما عرف في «جاب : يجوب ويجيب» فقد قال ابن القوطية : «جاب الفلاة والثوب وكل شيء جوبا ، ويجيب جيباً بالياء (١٦٧) .

— إشارته في «المُنيفُ» و «المُنيفَة» إلى ان الأول مأخوذ من «ناف» والثانية من «أناف (١٦٨)» ، وهذا الفرق فيما نظن — جد غريب — لأننا لا نقدر على تعليله، وما يتصل بالمظهر اللهجي من القضية في كلام ياقوت متصل بالأصل الفعلي لهذين الوصفين وهو الفعل الأجوف ، ذهب كلامه عليه في اتجاه بعيد عن الدقة اللغوية ، ويتخلص بما نقله عن الجوهري من ان مضارع «ناف» «يَنيف» (١٦٩)» ، وقد تفرد الجوهري بهذا الرأي وكان مُنتظراً من ياقوت ان يشير إلى ان «ينيف» لغة في «ينإف» لتشبه القضية ما المحنا اليه في «طا خ» «جاب» ، ولكنه لم يذكر غير الوجه الواحد الذي ذكره الجوهري فقط ، وكان منتظراً منه ايضاً — وهو يعزو «المنف» إلى «ناف» ، و «المنيفة» إلى «أناف» ان يلحظ التجرد والزيدة من كينونة الوصف من المجرد «ناف» :

«نايف» ، ومن المزيد «اناف» : «منيف ومنيفة» ولو عدّ ياقوت الفرق بين «ناف» و «أناف» مظهراً لهجياً لاقترب من الحقيقة ، لأن اللغويين المتقدمين قد نظروا كثيراً في صيغتي «فعل» و «افعل» ، وتحصّل لنا من كلامهم انها تفسّر بواحد من ثلاثة اسباب :

---

(١٦٦) م.ن : ٤٦/٤ .
(١٦٧) الأفعال /٥١ .
(١٦٨) معجم البلدان : ٢١٧/٥ .
(١٦٩) م.ن : ٢١٧/٥ ، وينظر : الصحاح — نيف .

- اختلاف لغات العرب (١٧٠) .
- لحن العامة (١٧١) .
- ما جرت به السنة المولدين (١٧٢) .

الفعل الناقص :

وقد التقطنا ملحظا واحداً من كلام ياقوت في هذا الصدد ، وهو تعليقه في « طحا» بقوله » والطحو والدحو بمعنى (واحد)،وهو البسط . وفيه لغتان طحا يطحو ويطحي (١٧٣)» وأمثلة هذه الثنائية اللهجية ، كثيرة في متن اللغة، منها ماقاله ابوزيد في « محا» : ان العرب تقول : محا يمحو ويمحا ، وقد جاء يمحي (١٧٤)» ونقل السيوطي عن اليزيدي » أن أهل الحجاز يقولون : قَلَوْتُ البرَّ وكل شيء يقلى فأنا أقلوه قلوا ، وتميم : قليت البر وكل شيء يقلى ، فأنا أقليه قليا (١٧٥) .

*** — تاريخ العلم البلداني :**

وهو ملحظ نادر ، له علاقة بعناية ياقوت بالتأصيل اللغوي للعلم البلداني، بيد انه لم يقدم شيئاً واسعاً في هذا المجال ، فنحن لم نلتقط من كتابه الا اشارات قليلة لاتجاوز الأربع :

١ — أن : «أثافتُ» كان يسمى : « درنا» في عصر ما قبل الاسلام (١٧٦) .

٢ — أن : « الأهْوازَ» اسم عربي ، سمي به في الأسلام ، وكان اسم المنطقة في أيام الفرس : » خوز ستان « (١٧٧) » .

---

(١٧٠) ينظر : السجستاني : فعلت وأفعلت ، مقدمة المحقق .
(١٧١) ينظر : اللسان وعد .
(١٧٢) المزهر ٢٦١/١ .
(١٧٣) معجم البلدان : ٢٢/٤ .
(١٧٤) النوادر /٢٠٦ .
(١٧٥) المزهر : ٢٧٧/٢ .
(١٧٦) معجم البلدان : ٨٩/١ .
(١٧٧) م.ن : ٢٨٤/١ .

٣ ــ ان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو أول من استخدم كلمة « وطيس» في قوله : « الآنَ حَمِيَ الوطيس (١٧٨) » .

٤ ــ أن « دَيْرُأرْوَى» لم يجد ياقوت ذكره إلا في شعر جرير (١٧٩)».

٥ ــ أن « الأنْدُلُس» لم تستعملها العرب في القديم ، وانما عرفت في الاسلام(١٨٠)، وهذه مسألة معروفة ، كثيراً ما قرأنا عنها في المقدمات التي يعدها الدارسون المعاصرون للتأريخ والأدب الأندلسيين (١٨١) ، غير أن ياقوتا لم يكتف بالتأصيل التأريخي للفظة ،بل علق عليه تحقيقاً لغوياً مهماً في بنيتها ، قال فيه : « الأندلس : هي كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم .... وقد جرى على الألسن ان تلزم الا لف واللام ، وقد استعمل حذفها في شعر ينسب الى بعض العرب ، فقال عند ذلك :

سألت القوم عن أنسٍ فقالوا بأندلسٍ وأندلس بعيد

وأندلس : بناء مستنكر فتحت الدال او ضمت ، فاذاْ حملت على قياس التصريف وأجريت مجرى غيرها من العربي فوزنها : فعُلُلُ او فَعَلَّلُ وهما بناءان مستنكران ليس في كلامهم مثل سَفرُجُل ولا مثل : سَفرجَل فأن أدعى مدع أنها فَتَفَلَّل، فليس في ابنيتهم ايضاً، ويخرج عن حكم التصريف ،لأن الهمزة اذا كانت بعدها ثلاثة أحرف من الأصل لم تكن الا زائدة ، وعند سيبويه أنها اذا كان بعد أربعة أخرى فهي من الأصل كهمزة أصطبل واصطخر ، ولو كانت عربية لجاز ان يدعى لها أنها أنفُعُل ، وان لم يكن له نظير في كلامهم فيكون من الدَلس والتدليس وأن الهمزة والنون زائدتان كما زيدنا في انقَحُل وهو الشيخ المسن (١٨٢)» .

---

(١٧٨) م.ن : ٢٨١/١ . الأوطاس .
(١٧٩) م.ن : ٤٩٧/٢ .
(١٨٠) م.ن : ٢٦٢/١ .
(١٨١) ينظر على سبيل المثال : عبدالرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي : ٣٧ .
(١٨٢) معجم البلدان : ٢٦٢/١ .

* — بناء العلم البلداني :

ونعقب بهذا الموضوع لما له من صلة منهجية بكلام ياقوت على مسادة «الأندلس» التي أصل لها في التاريخ ، واللغة ، وهو كثير العناية بالتأصيل اللغوي لأبنية الأعلام البلدانية ، لتقديم معرفة دقيقة عنها ، وهي معرفة تأتي على مستويين :

مستوى الصيغة :

من ذلك ماقاله في « مَاوان » : « يجوز ان يكون تثنية الماء ، قلبت همزة الماء واوا ، وكان القياس فأن تقلب هاء ، فيقال : ماهان ولكن شبهوه بما الهمزة فيه منقلبة عن ياء او واو . ولما كان حكم الهاء ، ألا تهمز في هذا الموضع بل اشتبهت بحروف المد واللين ، فهمزوه ، لذلك أطرد فيها ذلك لشبهه ، وعندي أنه من أوى اليه يأوى فوزنه : مفعان وأصله : مفعلان وحقه على ذلك ان يكون مأووان على مثال مكرمان ، وملكعان ، وملأمان ، الا ان لام مفعلان في مأوان ساكنة ، فأجتمع ساكناه ، فاستثقل فلم يمكن النطق به ، فأسقطت لام الفعل وبقيت ألف مفعلان تدل على الوزن (١٨٣)» .

وقد بدا لنا — ونحن نقرأ تأصيله للصيغ — منتفعاً انتفاعاً كبيراً من الأبنية التي ذكرها اللغويون المتقدمون ، ومن الطريف أن يأخذ من ابنية سيبويه ، ومما استدركه عليه الزبيدي ايضاً ، بيد انه يشير الى ابنية ذكرها سيبويه ، ولايهدينا البحث الى الوقوف عليها في النسخة التي بين ايدينا من كتابه ، ومن ذلك :

— إبْرَمٌ (١٨٤) : ليست في الكتاب .
— أَبْيَن (١٨٥) : ليست في الكتاب .
— إمَّدانٌ (١٨٦) : الكتاب ٤ / ٢٤٨ .

(١٨٣) م.ن : ٥/٤٥ .
(١٨٤) وم.ن : ١/٧٠ .
(١٨٥) م.ن : ١٠/٨٦ .
(١٨٦) م.ن : ١/٢٥١ .

- بَرَدِيّا(١٨٧) : الكتاب ٤ / ٢٦٥ .
- جَنَفَاءُ (١٨٨) : الكتاب : ٤ / ٢٥٨ .
- عِرِقّانُ (١٨٩) : ليست في الكتاب .
- عُنْبُبُ (١٩٠) ؛ ليست في الكتاب .
- قلهى (١٩١) : الكتاب ٤ / ٢٦٥ .
- مرَحَيّا (١٩٢) : ليست في الكتاب .
- يَبَنْبَمُ (١٩٣) : ليست في الكتاب .

وكان الزبيدي قد ذكر في استدراكه على سيبويه ايضاً بردّيا (١٩٤) . وقلهى (١٩٥) ، ومرَحَيّا (١٩٦) .ونقل عنه ياقوت من استدراكه عليه ايضاً

- الأرْبَعَاءُ (١٩٧) : الاستدراك /٨ .
- حَوْصَلاءُ (١٩٨) : الاستدراك /١٣ .
- مَسُولا (١٩٩) : وقد فاتنا الاهتداء الى هذه النقطة في « الاستدراك» واذا صَحّ فذى فائدة تأريخية لها قيمتها في نقد النسخة التي بين ايدينا من كتاب الزبيدي .

---

(١٨٧) م.ن : ١/٣٧٨ .
(١٨٨) م.ن : ٢/١٧٢ .
(١٨٩) م.ن : ٤/١٠٥ .
(١٩٠) م.ن : ٤/١٦١ .
(١٩١) م.ن : ٤/٣٩٣ .
(١٩٢) م.ن : ٥/١٠٣ .
(١٩٣) م.ن : ٥/٤٢٨ .
(١٩٤) الاستدراك : ١٤ ، ١٩ .
(١٩٥) م.ن : ١/٣٧٨ .
(١٩٦) م.ن : ٥/١٠٣ .
(١٩٧) معجم البلدان : ١/١٣٦ .
(١٩٨) م.ن : ٢/٣١٩ .
(١٩٩) م.ن : ٥/١٣٠ .

وقد لمحنا عناية لياقوت بصلة الوزن بالمعنى أحياناً ، وهي منحى تأصيلي لبنية العلم البلداني ، من ذلك ماقاله في « طَلوب » انه فَعول من الطلب ، وهو من أبنية المبالغة يشترك فيها المذكر والمؤنث ،ويقال : بئر طَلُوب ،بعيدة الماء (٢٠٠)» .

وما قاله في « الغَرّاف » ـ إنه « فعّال من أبنية التكثير (٢٠١) ». ولياقوت في دراسة هذه الصيغة ملحظ مهم في دراسة فقه اللغة ،فقد استثنى قوله ـ تعالى ـ : *(وما ربك بظلاّم للعبيد //سورة فصلت ـ الاية ٤٦) .
وقول طرفة :

ولست بحَلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد

من دلالة الصيغة فيهما على التكثير ،وعلل استثناءه بالاشارة الى ان امتناع الكثير لايعني وقوع القليل ، فالله ـ عزّ وجلّ ـ مُنَزّه ـ من قليل الظلم وكثيره،وطرفة لم يرد أنه يحل التلاع مخافة من الرفد ،ولكنه اراد الامتناع عن ذلك بالكلية (٢٠٢) .

وأساس ماقاله ياقوت في تفسير الآية معروف في كلام المفسرين ، يسهل الوقوف عليه في متقدم التفاسير ومتأخرها ، صغيرها وكبيرها (٢٠٣) .
وكلام ياقوت فيه دلالة على ان ابنية المبالغة لايشترط ، فيها من الناحية الالية ان تكون للتكثير دائماً . وينبني على هذا ان يتكلف الدارس معرفة احوال الموصوف ليتبين من خلاله صحة ان يحمل معنى الصيغة على التكثير او خلافه .

ومن اشارات ياقوت الى صلة معنى التكثير بوزن المبالغة قوله في « غَلاّس »

(٢٠٠) م.ن : ٣٩/٤ .
(٣٠١) م.ن : ١٩٠/٤ .
(٢٠٢) م.ن : ١٩٠/٤ .
(٢٠٣) ينظر على سبيل المثال : الجامع لاحكام القرآن : ٣٧٠/١٨ ، تفسير الجلالين /٦٣٦ .

هو فعّال من الغلس ، كأنه كثير التغليس (٢٠٤)» وقوله في «المُحَمَّدِيَّةُ» انه اسم المفعول للتكثير والمبالغة من الحمد ، ومعناه انه يحمد كثيراً (٢٠٥)» ولكن الدلالة على التفسير ليست في صيغة اسم المفعول نفسها ، بل في الفعل الذي بني منه هذا الوصف ، وهو « حمَّد » والمضعف للتكثير .

الفصيح والعامي :

لاتساع الرقعة الجغرافية التي بنى ياقوت كلامه على بلدانها ، من الثابت ان تصادف القاريء في معجمه أعلام بلدانية ، منها ماهو عربي فصيح ، ومنها ماهو محال عن العربية والفصاحة ، ومن الثابت ايضاً ان يعمد ياقوت الى محاولة أخرى للتأصيل اللغوي في هذا المجال ، وقد قدم في هذا الباب وجهات نظر ونقولا مهمة لايستهان بها ، من ذلك ماقاله في « آرة» : « وقرأت بخط ابي بكر طرخان بن بجكم ، قال « قال لي الشيخ ابو الأصبح الأندلسي ، المشهور عند العامة : وادى بارة بالباء ، وآرةُ بلد بالبحرين(٢٠٦) » وما قاله في « تكريتُ » : « بفتح التاء ، والعامة يكسرونها (٢٠٧) » ، ويعني : عامة القرنين السادس والسابع الهجريين ، وقد استطال هذا الوضع ، حتى اتصل بعامة العصر وخاصته ايضاً فأصبحنا لانسمع هذا الاسم الا مكسورا التاء ، ومن ذلك ايضاً ماقاله في « تلُّ أعفَرَ» : هكذا تقول عامة الناس ، واما خواصهم فيقولون : تل يعفر ، وقيل : انما أصله : التل الا عفر للونه ، فغير بكثرة الاستعمال وطلب الخفة (٢٠٨) » ، وهذا التعليل مقبول في اطار مانعرفه من نزعة العامة الى الاقتصاد في جهد اوائهم اللغوي ، وياقوت لايحمل كل مقولات العامة في احالة الأعلام البلدانية على اللحن مكتفياً

(٢٠٤) معجم البلدان : ٤/٢٠٧ .
(٢٠٥) م.ن : ٥/٦٤ .
(٢٠٦) م.ن : ١/٥٢ .
(٢٠٧) م.ن : ٢/٣٨ .
(٢٠٨) م.ن : ٢/٣٩ .

بالاشارة الى مايجتحرونه فيها من ذلك فقط ، ولكنه قد يصرح بغلطهم ، ومن ذلك اشارته الى انها تغلط في «اللاّنُ» فتقول « علاّن» (٢٠٩) » ومن مفارقاته المنهجية في ذكر الاعلام البلدانية الفصيحة والملحونة ، البدء بالفصيح مرة ، وبالعامي مرة أخرى ، ونحسب ان ملاحظة الشهرة هي التي دفعته في هذين المجريين المختلفين .

ومن فوائده عنايته بالفصيح والعامي في الأعلام البلدانية الشائعة بلغـــات اوعلى ألسنة غير العرب . فقد قال في « آمو» «هكذا يقولها العجـــم على الاختصار والعجمة (٢١٠)» .

وقال في « جِرِه» : « والعامة تقول » كسره (٢١١) »وقال في «جَماجِمو كذا يتلفظ بها أهل خراسان، ويكتبونها جماجم (٢١٢)» .

المعرَّب

للسبب نفسه الذي أشرنا اليه في مستهل الفقرة السابقة كثرت الأعـلام البلدانية المعربة في معجم ياقوت ،وقد منح ياقوت هذه الاعلام عناية ملحوظة وقدم محاولات تأصيلية لطيفة في اثناء كلامه عليها ، وهو لم يستعمل البتـــة مصطلح « الدخيل» ، والدخيل -- كما نعرف — هو ، مادخل الى العربية من لغة أخرى ، وبقي على أوزان تخالف اوزانها (٢١٣) ، ولكنه استعمـــل مصطلح « المولّد» مرة واحدة في كلامه على « تَرَيْدُ» بقوله : « وهو وزن غريب ، ليس له نظير ولعله مولد (٢١٤) .

والمعرب كما نعرف ايضاً: هو مانقل الى العربية من لغة أخرى نقلا ينسجم

(٢٠٩) م.ن : ٨/٥ .
(٢١٠) م.ن : ٥٩/١ .
(٢١١) م.ن : ١٣١/٢ .
(٢١٢) م.ن : ١٥٩/٢ .
(٢١٣) ينظر : حسن ظاظا : كلام العرب /٦٨ ، هنري فليش : العربية الفصحى /٧٨ .
(٢١٤) معجم البلدان : ٧٨/٢ .

مع المفردة العربية في اوزانها وأصواتها (٢١٥) ،ومن واجب درسه التأصيلي أن يذكره مقروناً بأصله لتحقيق معرفة كافية عنه،ولكن ياقوتا قد يذكر الأصل او يخل به ، فقد قال في : « تُستَر» : « تعريب شوشتر (٢١٦)» وقال في «طِهران « : وهي عجمية ، وهم يقولون : تِهْران ، لأن الطاء ليست في لغتهم (٢١٧)» وقال في «دَهْلَك « : « اسم اعجمي معرب (٢١٨)» فقط ولم يذكر اصله .

وقد يذكر ما يوافق المفردات الأعجمية من العربية كما قال في «الطَّرْم: « وهي فيما أحسب فارسية وافقت من كلام العرب: الطَّرْم مثله سواء الزيد، وفي لغة لبعض العرب : العسل (٢١٩) » ،وقال في طوخ : « اسم اعجمي ومدخله في العربية من: طاخه يطوخه،ويطيخه، اذا رماه بقبيح (٢٢٠)»،ولايخفى مافي هذين النصين من نظر تأصيلي يحاول الاقتراب بالمفردة الأعجمية من العربية التي سادت في الأمصار المستضيئة بالشمس العربية الاسلامية ، بيد ان ياقوتا لايكشف في هذا المجال عن معرفة بلغات امم المنطقة ، فهو يكتفي في اشاراته بالنقل او بالمحفوظ الذي حصله في اثناء الرحلة الطويلة التي استنفدت حياته ، كما فعل في كلامه على : آسيا (٢٢١) » و « طَرَّرُ (٢٢٢)» .

وحين يرتج عليه باب العلم الدقيق ، يكتفي بالاشارة الى ان المفردة اعجمية كما قال في « طَبَرِية (٢٢٣)» و « طوخُ (٢٢٤) » و « طِهْرانُ (٢٢٥) » و

---

(٢١٥) المزهر : ٢٦٨/١ ، وينظر : كلام العرب /٦٨ ، العربية الفصحى /٧٨ ، صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة /٣١٤ .
(٢١٦) معجم البلدان : ٢٩/٢ ، وينظر : الجواليقي : المعرب /١٣٩ .
(٢١٧) م.ن : ٥١/٤ ، ولم يذكرها الجواليقي في : المعرب .
(٢١٨) م.ن : ٤٩٢/٢ ، وينظر : المعرب /١٩٥ .
(٢١٩) م.ن : ٣٢/٤ .
(٢٢٠) م.ن : ٤٦/٤ .
(٢٢١) م.ن : ٥٤/١ .
(٢٢٢) م.ن : ٣٤/٤ .
(٢٢٣) م.ن : ١٧/٤ .
(٢٢٤) م.ن : ٤٦/٤ .
(٢٢٥) م.ن : ٥١/٤ .

و«ميدان » (٢٢٦) » أو يصرح بأنه لايدري ما اصلها كما فعل في «طَفْرُجيل (٢٢٧)» و « عَمَّلَة (٢٢٨)» ، او يضعف معلوماته عنها بقوله : «أحسبها وأظنها » ولكنه لايخلي كلامه على بعض الأعلام البلدانية غير العربية من محاولات تحليلية كما فعل في اوريشَلَم» وفي إيلياء« فقد قال في الأول : « هو اسم للبيت المقدس بالعبرانية، إلا أنهم يسكنون اللام فيقولون أوريشلم ،وقد قال الأعشى :

وطوفْت للمال آفاقُه عُمَانَ فحمص فاوريشلم
أتيت النجاشي في داره ، وأرض النبيط وأرض العجم

وحكي عن رؤبة اوريسلم ، بالسين المهملة ، وروى اوريشلم ،وأوريشلم بتشديد اللام ، وأوراسلم ، بفتح الراء والسين ، كذا حكاه ابو علي الفسوى [الفارسي النحوي] وأنشد عليه بيت الأعشى ، فقال : فأورى سلم بكسر اللام ، قال : وقال ابو عبيدة : وهو عبراني معرب ، والقياس في الهمزة اذا كانت في أسم أن تكون فاء مثل بهمى والألف للتأنيث ، ولا تكون للالحاق في قياس قول سيبويه ، واذا كان كذلك لم ينصرف في معرفة ولا نكرة ، وجاء من هذه الحروف في كلام العرب : الأُوار فقال :

كأن اوارهن أجيج نار

وقالوا في اسم موضع اواره ، وأنشد ابو زيد [الأنصاري]:

عداوية هيهات منك محلها اذا ماهي احتلت بقدس وآرت

وهذا من لفظه الأول اذا قدرت الألف منقلبة عن الواو ، قال الاعشى

هما إنَّ عَجْرَةَ أمِّه بالسَّفْحِ أسفلَ من أُواره

فان قلت : فهل يجوز أن يكون أورى أفعل فتكون الهمزة زائدة من أوريت

---

(٢٢٦) م.ن : ٢٤١/٥ .
(٢٢٧) م.ن : ٣٥/٤ .
(٢٢٨) م.ن : ١٥٧/٤ .

النار وما في التنزيل من قوله – تعالى –*(أفرأيتم النار التي تورون // سورة الواقعة – الاية ٧١) * ، قلت ذلك لايمتنع في القياس لأن الأعلام قد تسمى بما لايكون الا فعلا نحو خضم وبذر ألا ترى أنه ليس في العربية شيء على وزن فعل (٢٢٩)» .

وفي الثاني :« إيلياء : ... اسم مدينة بيت المقدس،قيل : معناه : بيت الله وحكى الحفصي [مروان بن محمد بن ابي حفصة – صاحب كتاب مناهل اليمامة] : فيه القصر وفيه لغة ثالثة ، حذف الياء الأولى فيقال : الياء بسكون اللام والمد ، وقال ، وقال ابو علي : وقد سمي البيت المقدس ايلياء بقول الفرزدق :

وَبَيْتان ، بَيتُ اللهِ نحن ولاتُه وقصر بأعلى إيلياء مُشْرِفُ

فايلياء : الهمزة في أولها فاء لتكون بمنزله الجربياء ، والكبرياء، وتكون الكلمة ملحقة بطرمساء ، وجلخطاء ، وهي الأرض الحزن ، والياء التي بعد الهمزة لاتخلو من أن تكون منقلبة من الهمزة او من الواو ،وقياس قول سيبويه أن تكون من الواو ولا تكون منقلبة من الهمزة على هذا القول ، لأن الهمزتين اذا لم تجتمعا حيث يكثر التضعيف نحو شددت ، ورددت ، فان لم تجتمعا حيث يقل التضعيف أجدر ،ألا ترى أن باب ددن وكوكب من القلة بحيث لانسبة له الى باب رددت ، ولم تجتمع الهمزتان فيه ، كما اجتمع سائر حروف الحلق في هذا الباب في قلة مهاه والبعاع والبعة ، ولجّ وسجّ ونجّ ، وان جعلتهما من الباء كان من لفظة قولهم في اسم البلد أيلة ،هذا ان كان فعلة وان كان مثل ميتة أمكن ان تكون من الواو ، ومما جاء على لفظة من الفاظ العرب الأيل : وهو فعل مثل الهيج في الزنه ، وكون العين ياء ، ومن بنائه الأمر ، ولد الأمر ، ولد الضائن ، والقنّف ، وقالوا للبراق الألق ، وللقصير دنّب ، ومجيء البناء في الاسم والصفة يدل على قوته ، فان قيل : هل يجوز

(٢٢٩) م.ن : ٢٧٩/١ : اوريشلم .

أن تكون ايلاء افعلاء فتكون الهمزة ليست بأصل كما كانت أصلا في الوجه الأول ، فالقول في ذلك : انا لانعلم هذا الوزن جاء في شيء واذا لم يجيء في شيء لم يمنع حمل الكلمة عليه ، ولو جاء منه شيء لامكن أن تكون اليـاء الأولى منقلبة عن الواو او منقلبة عن الهمزة كالايمان ونحوه ، ولم يجز أن يكون انقلابها عن الياء لأنه لميجيء من نحو سلس في الياء الا يديت وأنديت وقيل : انما سميت ايلياء باسم بانيها وهو : ايلياء بن ارم بن سام بن نوح — عليه السلام — (٢٣٠)» .

* **القراءات القرآنية :**

وقد أفاد منها في التأصيل اللغوي لبعض الأعلام البلدانية ، من ذلك مانقله مـن قـراءة الأعمـش فـي تخفيـف يـاء « الجـودى » فـي قـوله — تعالى — : * (واستوت على الجودي //سورة هود — الاية ٤٤» ، وما نقله عن القراء من تنوين « طوى» وعدم تنوينه ، بقوله : « وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو طوى ، وأنا بغير تنوين ، وطوى اذهب بغير تنوين ، وقرأ الكسائـي وحمزة وعاصم وابن عامر منونا في الصورتين (٢٣١) » .

وما قاله في « طور سيناء « بفتح العين و كسرها مستدرك بقول « الأخفش : « وقرىء : طور سيناء — بالفتح والكسر (٢٣٢) » .

ومن مباحثه النقلية التي انتفع فيها بعلم القراءات القرآنية مانقله من الزجاج في قراءة« النبيّين « بقوله « القراءة المجتمع عليها في النبيين والأنبياء طـرح الهمزة ،وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ماجاء في القرآن من هذا واشتقاقه من نبأ أي أخبر ، قال : والأجود ترك الهمزة لأن الاستعمال يوجب

---

(٢٣٠) م.ن : ١٠/٢٩٣ .

(٢٣١) م.ن : ٤/٤٤ — ٤٥ : طوى ، ويعني:* (اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى // سورة طه — الآية ١٢ * و * (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى // سورة النازعات — الآية ١٦) .

(٢٣٢) م.ن : ٤/٤٨ .

ان ما كان مهموزاً من فعيل فجمعه فعلاء مثل ظريف وظرفاء فاذا كان من ذوات الياء فجمعه أفعلاء نحو غني وأغنياء ونبي وانبياء بغير همز ، فـاذا همزت قلت نبيء وأنباء كما تقول في الصحيح وهو قليل : خميس وأخمساء ونصيب وأنصباء ، فيجوز أن يكون نبي من أنبأت فما ترك همزه الا لكثرة الاستعمال ، ويجوز ان يكون من نبا ينبو اذا ارتفع فيكون فعيلا من الرفعة (٢٢٣) » .

* **الضرورات الشعرية :**

وهي ظاهرة لغوية في الشعر أولاها اللغويون والنحاة عناية كبيرة ، فكتبوا في تعريفها وتصنيفها ، وألفوا فيها الكتب المستقلة والفصول الكبيرة ، وأعطوا الملاحظ والاشارات التي حاول الدارسون المعاصرون تتبعها ودراستها ، ومن ذلك فصل مبسوط كتبه الدكتور عبد الوهاب العدواني بعنوان : « الضرورة في آثار الدارسين — قديماً وحديثاً (٢٣٤) » ، وأشار فيه الى مشاركة ياقوت بالتأليف الخاص في هذه الظاهرة ، ثم قال : « ومن طريف ياقوت ان صرح باختصار اسم بلدة اعجمية قديمة ليستقيم له وزن بيت ذكره فيها ، ولعل مستقرى كتابه : معجم البلدان واجد فيه اشارات يمكن ان تسعف في اعطاء صورة محددة عن طبيعة فهمه للضرورة بعد ضياع كتابه الخاص فيها (٢٣٥)» وهو كتاب أسلفنا ذكره في كلامنا عن آثار ياقوت في الفصل الأول من هذه الدراسة ، ويحسن بنا — ونحن نعالج عنايته التأصيلية بالأعلام البلدانية — ان نلتقط بعض ملاحظه عن الضرورات التي عرضت فيما استشهد به من نصوص شعرية ، والضرورة — كما نعلم — هي مايضطر اليه الشاعر من حذف أو

---

(٢٣٣) م.ن : ٢٥٩/٥ .

(٢٣٤) تنظر : رسالته للدكتوراه : الضرورة الشعرية — دراسة نقدية — ١٥٩ — ٢٩٧ .

(٢٣٥) م.ن : ١٦٢ ، وينظر : معجم البلدان : ١٤١/١ : ارثخشيش .

زيادة او تقديم أو تأخير او ابدال او تغيير في غير موضعه (٢٣٦) ، ومن ذلك :

١ ـ الاشارة الى اسقاط النابغة الذبياني الهمزة من أول « أباغ » في قوله يمدح آل غسان :

يوما حليمة كانا من قديمهم وعينُ باغَ فكان الأمرُ ما ائتمرا(٢٣٧)

٢ ـ الاشارة الى ان لبيدا اقتطع شطراً من « المنازل » في قوله :

درس المنا بمتالع فأبان فتقادمت فالحبس فالصوبان

ونبه ياقوت على ان هذا « من اقبح الضرورات (٢٣٨)» .

٣ ـ الاشارة الى ان المتنبي خفف راء « جانُ أرَّ » في قوله :

أرجانَ أيّتها الجيادُ فإنه عزمي الذي يدعُ الوشيج مكسرا(٢٣٩)

٤ ـ الاشارة الى ان الشاعر قد ثنى وجمع لاقامة الوزن فقال :

الا حبّذا بَرْدُ الخيام وظلُّها وقَوْل على ماءِ التُليّيْن أمرْشُ(٢٤٠)

وقال : « قال مطير بن أشيم الأسدي :

ينتسابُ ماءَ قَطيّات فأخلفه كأنّ مَوردَه ماء بحوران (٢٤١)

والاشارة في هذين البيتين الى « التلي » و « قطية » ومن المعروف ـ كما قال ياقوت ـ « ان العرب تحرف المفرد (في الشعر) ليستقيم الوزن (٢٤٢)». ولابد من التنبيه هاهنا الى ان معظم الضرورات الشعرية التي ورد ذكرها في المعجم ضرورات زيادة ونقص في المفردة البلدانية فقط ،وقد خلا الكتاب من

---

(٢٣٦) ابن السراج : الأصول : ٤٣٥/٣ ، وينظر : رشيد العبيدي : معجم مصطلحات العروض والقوافي : ١٥٣ .

(٢٣٧) معجم البلدان : ٦١/١٠ .

(٢٣٨) م.ن : ٦٢/٤ .

(٢٣٩) م.ن : ١٤٢/١ .

(٢٤٠) م.ن : ٤٥/٢ .

(٢٤١) م.ن : ٣٧٨/٤ .

(٢٤٢) م.ن : ٣٧٨/٤ .

اي ملحظ يجاوز هذين النوعين الى اي نوع آخر من انواع الضرورات في الشعر العربي .

* — **تفسير العلم البلداني :**

فقد أولى ياقوت معاني الأعلام البلدانية اهتماماً ملحوظاً وقد تهيأ لنا ان اللغوي المعاصر بمقدوره ان يستخرج من كلام ياقوت عملا دلاليا ، يشبه ان يكون معجماً ، ولكنه سيكون — بالضرورة — معجماً ناقصاً ، لايتوفر الا على المفردات التي اقتضت الكلام التفسيري المناسب عليها ، وقد تكون جهده التفسيري ، واغتنى بالنقول المهمة ، والتحقيقات العلمية النافعة والشواهد المختلفة ، ولكنه لم يخل من بعض الهنات القليلة ايضاً .

ومن طبيعة عمل ياقوت التفسيري ان يعزز كلامه بكلام اللغويين والجغرافيين ، وشراح الشعر ، ويحيل النقل الى حد يخرج عن الحاجة كما فعل في كلامه على « العبْلاء » و« النحيزه »، فقد فسر الأولى بقوله : « قال الأصمعي : الأعبل والعبلاء حجارة بيض، وقال الليث : صخرة عبلاء بيضاء، وقال ابن السكيت: القِنانُ جبالٌ صغار — مسود لا تكون القُنّة إلاّ سوداء، ولا الظراب الاّ سوداء ، ولا الأعبل والعبلاء الاّ بيضاء ، ولا الهضبة الا حمراء وقال ابو عمر : العبلاء معدن الصفر في بلاد قيس، وقال النضر العبلاء الطريدة في سواد الأرض حجارتها بيض كأنها حجارة القداح ، وربما قدحوا ببعضها وليس بالمرو كأنها البلور ، وقيل العبلاء اسم علم لصخرة الى جنب عكاظ قال خداش بن زهير : وعندما كانت الوقعة الثانية من وقعات الفجار :

ألم يبلغْكُمُ أنّا جدعنا لدى العبلاء حِندِف بالعَيادِ

وقال ايضاً خداش بن زهير :

ألم يبلغك بالعبلاء أنا ضربنا خندفا حتى استقادوا ؟
تُبنّي بالمنازل عزّ قيس وودّوا لو تسيخ بنا البلادُ

وقال ابن الفقيه : عبلاء البياض موضعان من اعمال المدينة أو عبلاء الهرد والهرد نبت به يصبغ أصفر ، والطريدة : أرض طويلة لاعرض لها ، والعبلاء : قيل العبلات بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخلصة بيت صنم ، وهي من أرض تبالة ، وعبلاء زهو ، ذكرت في زهو : وهي في ديار بني عامر (٢٤٣) وفسر الثانية بقوله : « ولها في اللغة معان كثيرة ، نحيزه الرجل طبيعته ، والنحيزة ، طرة تنسج ثم تخاط على الفساطيط شبه الشقة ، والنحيزة : العَرْقة ، قال ابن شميل : والنحيزة طريقة سوداء كأنها خط مستوية مع الأرض ، خشنة لايكون عرضها ذراعين ، وانما هي علامة في الأرض من حجارة أو طين أسود ، قال الأصمعي : النحيزة : الطريق بعينه شبه بخطوط الثوب ، قال ابو زيد : النحيزة من الشعر يكون عرضها شبرا تعلق على الهودج يزينونه بها وربما رقموها بالعهن ، قال ابو عمرو : النحيزة النسيجة شبه الحزام يكون على الفساطيط التي تكون على البيوت تنسج وحدها ، وكأن النحائز من الطرق مشبهة بها ، قال ابو خيرة النحيزة جبل منقاد في الأرض ، والأصل في جميع ماذكر واحد وهو الطريقة المستدقة ، والنحيزة : واد في ديار غطفان (٢٤٤) » .

وهو في كثير من المواضيع يرص النصوص المختلفة شواهد على المعاني التي يذكرها ، آيات وأحاديث وأشعاراً وأمثالا ، واقوالا سائرة ومن ذلك — على سبيل المثال —

١ — الأب : الزرع في قوله — تعالى — : * (وفاكهة وأبا (٢٤٥) //سورة عبس — الاية ٣١ .

٢ — الحصير : المحبس في قوله — تعالى — : * (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا (٢٤٦) //سورة الأسراء — الاية ٨ .

---

(٢٤٣) م.ن : ٤/٨٠ .
(٢٤٤) م.ن : ٥/٢٧٥ .
(٢٤٥) م.ن : ١/٦٤ .
(٢٤٦) م.ن : ٢/٢٦٧ .

٣ ــ الوطيس : وذكر ان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو اول من قال : حمي الوطيس ــ كما أسلفنا ــ وذلك حين استعرت الحرب في وقعة حنين بينه وبين هوازن في وادي أوطاس في ديار هوازن (٢٤٧) ، ويتخايل لنا في هذا الموضوع ملحظ مهم نصورة بالاشارة الى العلاقة التوليدية بين «الوطيس» و « أوطاس» وكأن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد ولد « الوطيس » من اسم الموضع الذي شهد المعركة المستعرة .

٤ ــ اللأي : البطء في قول زهير :

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفْت الدار بعد توهم (٢٤٨)

٥ ــ الفاق : الزيت المطبوخ في قول الشماع :

قامت تريك أثيث النبتِ منسدلا مثل الأساود قد مسحن بالفاق (٢٤٩)

٦ ــ الحور : النقصان ، والكور : الزيادة ، كما في المثل : « تعوذ بالله من الحَوَر بعدَ الكَوَر (٢٥٠)» ، وقد سبقت لنا اشارة الى ان باقوتا قد قدم بهذا المثل اضافة علمية على ماذكره الأمثاليون من المعنى المذكور ، فالميداني قد ذكر المثل بلفظ « نعوذ بالله من القل بعد الكثر (٢٥١)» .

وتفاسير ياقوت المعنوية أو سع من احصائنا ووصفنا في هذا الموضع ، وحسبنا التنبيه على ان ياقوتا لم يكتف من المفردة البلدانية ، التي يشرحها بوضعها الظاهر الذي يقع تحت النظر ، لأنه قد يفسرها باختلاف الظاهر الذي يقع تحت النظر ، لأنه قد يفسرها بأختلاف الروايات اللفظية الواردة فيها كما في «لفت : المثلثة الفاء » مشيراً الى ان القاضي عياض قد قيده على ثلاثة أوجه :

ــ لَفْت : بفتح اللام وسكون الفاء .

ــ لَفَتُ : بالتحريك .

---

(٢٤٧) م.ن : ٢٨١/١ .

(٢٤٨) م.ن : ٩/٥ .

(٢٤٩) م.ن : ٢٣٢/٤ .

(٢٥٠) م.ن : ٣١٧/٢ . حوران .

(٢٥١) مجمع الأمثال : ٣٤١/٢ ، ٤٧٤ .

ـ لِفْتُ : بكسر اللام وسكون الفاء .

ثم قال : « ولكل معنى في كلامهم ، أما : لَفْت بالفتح ثم السكون ، فهي الصرف تقول : مالفتك عن فلان ، أي ماصرفك ، وقيل اللفت : اللي عن جهته ومنه الالتفات ، وأما اللفت فيقال : لفت فلان مع فلان ، كقولك صفاه ، ولفتاه : شقاه ، وأما المحرك فيجوز أن يكون منقولا عن الفعل ، من قولهم : لفت فلان فلاناً ، أي صرفه ثم استعمل اسما (٢٥٢) .

وقد ينبه على المعاني الضدية كما قال في « الجون : انه من الأضداد (٢٥٣) وقال في « طُوَيلُعُ » تفسيراً للطالع « يقال طلعت على القوم ، أطلع طلوعاً ، فأنا طالع ، اذا غبت عنهم حتى لايروك ، أو أقبلت اليهم حتى يروك (٢٥٤)» وقال في : عَمْر انه » اذا اقبل واذا ادبر (٢٥٥) « ، وفي « القشيب » انه : الجديد من كل شيء والخلق (٢٥٦) » ايضاً .

وعلى المعاني كذلك ، فقد ذكر ان « الأجر» :«بلغة أهل مصر : الطُّوب : وبلغة أهل الشام : القرميد (٢٥٧) » ، وذكر ان « كَبَر »في اللغة : الطبل الذي له وجه واحد في لغة أهل الكوفة (٢٥٨)» ،

ومن هناته في التفسير — فيما نزعم — :

١ — أبهر : وقد ذكر انه من « أبهر » بمعنى : الغلبة بقرينة قول عمر بن ربيعة :

ثم قالوا تحبها ، قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب

(٢٥٢) معجم البلدان : ٢٠/٥ .
(٢٥٣) م.ن : ١٨٩/٢ ، وينظر : ابو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب : ١٥١/١ — ١٦١ .
(٢٥٤) م.ن : ٥١/٤ ، وينظر : ابن السكيت : اصلاح المنطق: ٢٦٠ ،الأضداد: ٤٥٨/١.
(٢٥٥) م.ن : ١٢١/٤ ، وينظر : الأضداد : ٤٨٨/١ — ٤٩١ .
(٢٥٦) م.ن : ٣٥٢/٤ ، وينظر : الأضداد : ٥٨٨/٢ — ٥٨٩ .
(٢٥٧) م.ن : ٥١/١ .
(٢٥٨) م.ن : ٤٣٤/٤ .

وفسر : « ابتهر فلان بفلانة» بمعنى اشتهر ، وأورد قول الشاعر :

تهيم حين تختلف العوالي ومالي ان مدحتهم ابتهار (٢٥٩)

والبادي لنا انه قد سها في فهم المفردتين في الشاهدين ، لأن « بهرا » في الأول بمعنى « جما» أو « عجبا» ، و «الابتهار » في الثاني بمعنى ادعاء الشيء كذبا (٢٦٠) .

٢ ــ الأحور : وقد ذكر أنه « سواد العين (٢٦١) وليس الأمر كما قال ،لأن الأحور هو « العقل » وقد قيل : « وما يعيش فلان بأحور » ، أي مـا يعيش بعقل يرجع اليه (٢٦٢) .

---

(٢٥٩) م.ن : ٨٣/١ .
(٢٦٠) ينظر : اللسان ــ بهر .
(٢٦١) معجم البلدان : ١١٨/١ .
(٢٦٢) ينظر : اللسان ــ حور .